الفصل الثالث

فى صفاتـه واسمآئـه وكيف يجب أن يُعْتَقَد القول والفعل منه سبحانـه

أقول أنّـه إذا ثبت وجود البارئ عزّ وجلّ وثبتت وحدانيّتـه بـالدلائـل التى قـامت وجب أنْ يُنظر فى صفاتـه وما يليق بـه أن يضاف اليه ويُعرَف بـه فنظرنـا فـاذا من صفاتـه خاصّ وعامّ فـالخاصّ مـا لا يجوز ان يُـوصَفَ بضدّه كالحيـاة والعلم والقدرة ولا أن يوصف بـالقـدرة عليها ألا ترى انّـه لا يصحّ القول بـأنّـه يقدر ان يحيا او يقدر ان يعلم او يقدر ان يقدر ولا القول بأنّه يعلم كذا ولا يعلم كذا أو يقدر على كذا ولا يقدر على كذا لأن ما كان موصوفًا بنفسه ثمّ وُصِفَ بضدّها كان الضدّ راجعًا الى نفسه ولا تستقيم الالهيّـة بغير حياة وقـدرة وعلم وهذه تسمّى صفات الـذات والعامُّ مـا يجوز ان يُوصَف

بضدّها ويوصف بالقدرة عليها كالإرادة والرزق والخلق والرحمة وهى صفات الفعل وللمسلمين ومن قبلهم فى هذا الفصل تشاجر كثير واختلاف يدعو الى ضلال مَنْ خالف صاحبه فى ذلك فقال بعض الناس لا اسم للبارئ ولا صفة ولا ذكر وانما ينبغى ان ينسب كلّ عدل ورحمة وفضل وَجُودٍ إليه بمعرفة القلوب أنه منه وقالت المعتزلة أنّ صفات الله أقوال وكنايات وهى كلّها من قول القائلين ووصف الواصفين وقال قومٌ لا معنى لصفات الفعل وانّما المعنى لصفات الذات والصفة ما قامت فى الموصوف ولا تباينه ولا يجوز أن يُوجَد الموصوف مع عدمها قالوا فلَمْ يزل اللّه خالقًا بارئًا رازقًا مريدًا متكلّمًا رحيمًا حتى أَتَوْا على آخر صفاته وفرّق ناس منهم بين الوصف والصفة فجعلوا الصفة ما يلاصق الموصوف كالعرض للجوهر والوصف قول الواصف تلك الصفة فصفات الله غير مخلوقة لأنّه بها موصوف وهو غير مخلوق وهو واحد بصفاته كلّها وصفاته لا هو ولا بعضه ولا غيره واحتجّوا بأنّها ليست هو ولو كانت هو لكان صفة وَلَدُعِى فقيل يا عِلْم يا قُدرة يا سمع يا بصر ولمّا قام بذاته

كما أنّ الصفات لا تقوم بانفسها ولا هى غيره لأنّ حدّ المتغايرَيْن جواز وجود أحدهما مع عدم الآخر [f° 19 v°] فلو كان علمه وقدرته وسمعه وبصره غيره جاز عدم العلم والقدرة وغيرها مع وجود البارئ فيحصل بلا علم ولا قدرة ولا هى بعضه لأنّ التبعيض من دلائل الحدث والله لا يُوصف بالابعاض والأجزآء وقالت المعتزلة فى صفات الذات انّها ليست من غير الذات شيئًا فذات البارئ عالمة حكيمة قادرة سميعة بصيرة وهو عالم بذاته قادر بذاته سميع بذاته بصير بذاته وانّما الصفات ما وَصف الله به نفسَهُ أو وصفه العبادُ بها قالوا ولا يجوز ان يكون علمه وقدرته هو ولا غيره لانّها لو كانت هو لكان اشيآء كثيرة مختلفةً ولعُبدَتْ ودُعِيَتْ فلو كانت غيره لكانت قدمآء كثيرة وإن لم يزل مع البارئ وإن كانت محدثة فكان قبل احداث العلم غير عالم وقبل احداث القدرة غير قادر وكذلك سائر الصفات فثبت أنّ ذاته عالمة قادرة إن كان له علم به يعلم وقدرة بها يقدر ولم يخلُ من أن يكون هى هو أو غيره وقالوا لا فَصْل بين من زعم انه هو أو غيره او بعضه قالوا وقول

القائل لا هو هو نفيٌ وقوله لا غيره رجوع عن ذلك النفى واثبات له فهولاء يزعمون أنّه لو كان له علم لكان معه غيره ومخالفوهم يزعمون ان لو لم يكن له علم لكان جاهلًا قالوا وهو موصوف بالقِدَم والقدرة والعلم فلو كان عالمًا بنفسه قديمًا لما جاز أن يُوصَف بنفسه كما لا يُصَوّر المصوّرُ بنفسه ولا يكتب المكتوب بنفسه ولا يشتم المشتوم بنفسه وانّما يشتم المشتوم بشتم ويصوّر المصوّر بصورة فصحّ أنّه موصوف بصفات والصفات يشتقّ منها الأسامى فالقديم من القِدَم والقدير من القدرة والعالم من العلم كما أنّ الحمرة للأحمر والصُفْرة صفة للأصفر ثم هُوَلَا هِىَ ولا غيرها قالوا ولو لم يشاهد عالمًا الا بعلم ولا قادرًا الّا بقدرة فكذلك ما غاب عنّا فقال لهم مخالفوهم أليس الحُمرة والصُفرة عَرضان فى الأحمر والأصفر أو ليس العالم منّا بعلم علمه عارض فيه فهل[1] الى تمثيل البارئ بجسم ذى عرض وبِمَ ينفصلون ممّن يزعم انه جسم أو عَرض لوجود الفعل منه لأنّه لا يظهر الفعل فيما يشاهده إلّا من جسم حدَثٍ فهل يجب علينا القضآء

[1] Lacune. Ms. كذا فى الاصل.

بأنّه جسم ذو أعراض وأبعاض إذا لم نشاهد الفعل إلّا من جسم ذى أعراض وأبعاض كذلك لا يجب القضآء بأنّه عالم بعلم اذا لم نشاهد عالمًا إلّا بعلم فإن قيل إذا أجزْتَ عالمًا لا يعلم فَأَجِزْ جسمًا لا بصفات الجسم قيل لو لزم ذا للزمك هو بعينه فى إجازتك عالمًا بعلم لا هو ولا غيره ولا بعضه وأمّا قولهم ان المصوّر لا يصوّر بنفسه والمكتوب لا يُكتَبُ بنفسه وانّما يصوّر بصورة ويكتب بكتابة والصورة والكتابة لا شكّ غيرهما وقولهم من الصفات يشتقّ الأسامى فالصفات هى الأسامى بعينها ليست أنّها اشيآء كامنة فيه كالأعراض فى الجواهر ولكنّه إذا أبدى فعلًا من افعاله تسمّى به او سمّاه العباد به والكلام يطول فى هذا ويمتدّ ومتى اعمل الناظر فكره فى هذا المقدار [٢٠٣٠] تبيّن له وجه الصواب بحول الله وقوّته

القول فى الأسامى اقول أن اختلافهم فى الأسامى كاختلافهم فى الصفات وعامّة المعتزلة على أنّ الأسامى هى الصفات وأنّ الاسم غير المسمَّى وهو قول المسمّى وحدّ الاسم ما دلّ على المعنى وقالت فرقة أنّ الاسم والمسمَّى واحدٌ واحتجّوا بقوله بعالى سَبِّحِ ٱسْمَ

رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى فلو كان الاسم غيره لكان قد أمر بعبادة غيره وقد قال سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَوَاتِ وَٱلْأَرْضِ فدلّ على أنّ اسم الله هو الله وقال ٱذْكُرُوا ٱللَّهَ ثمّ قال فى موضع وَٱذْكُرُوا ٱسْمَ ٱللَّهِ وناقضهم مخالفوهم بأنّ الاسم لو كان المسمَّى لكان اذا غُيِّرَ تَغَيَّر المسمَّى واذا أُحرِق أو خُرِّق أو غُرِّق أثر ذلك كلُّه فى المسمّى وكلُّ مسمًّى سابق اسمه وجائز تبدّل الاسم عليه والاسماء مختلفة كثيرة والمسمّى واحد غير مختلف وقد قال اللّه عزّ وجلّ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَاءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا وما هو له فهو به يُدْعَى وهو غيره لا شكّ وأجمعت الأمّة أنّه غير جائز أن يقال له يا حَسَن على أن يكون حُسْنه فى ذاته وانّما يُوصف بحسن القول والفعل وقد أخبر أنّ له اسماء حسنة فى غاية الحُسن ونهايته فعُقِل أنّه غير اسمائه واسماؤه معلومة محدودة معدودة الحروف ولا يجوز اطلاق شئ من ذلك على البارئ سبحانه وتعالى واسماؤه تختلف باختلاف اللُّغات فكما أنّ لغة الفرس هى غير لغة العرب ولغة العرب غير لغة الحبش لقول الله تعالى وَٱخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ كذلك التسمية بها

مختلفة فاذا اختلف الاسم وهو واسمه واحد فذاك الاختلاف شائع فيه لا شكّ اللهمّ إلّا أن ينكر أن لا يكون له غير اسم واحد وأن لا يختلف ذلك الاسم باختلاف اللغات فهذا جاحد ضرورة لا غير وقوله تعالى سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى أى اذكره باسمه وصفته لأنّه غير ممكن ذكر شئ إلّا باسمه ثمّ قوله سبّح للّه واذكروا الله واذكر ربّك على ما يتعارفه الناس انّ الشئ اذا لم يكن ذكرًا فى نفسه لم يكن ذكره إلّا باسمه وقول القائل اللّه معلوم انّه اسم عربّى لمعرفة معناه واشتقاقه وغير جائز القول بأنّ الله عربّى او عجمىّ فإن قال قائل اذا كان الاسماء والصفات من أقوال العباد وكناياتهم فلَمْ يكن له اسم ولا صفة قبل الخلق وكان عُطلًا غفلًا الى أن سمّاه العباد قيل قد قلنا أنّ صفاته على وجهَيْن صفة ذات وصفة فعل فما كان من صفات الذات لم يزل بها موصوفًا وان لم يصفه بها واصفه كما أنّه لم يزل واجدًا فردًا وان لم يكن خلق يوحّده وعالمًا وان لم يكن المعلوم موجودًا وقادرًا وقديمًا فامّا القول بأنّه لم يزل مَدْعُوًّا أو معبودًا أو مشكورًا فالشاكر والعابد والداعى

ليسوا لم يزالوا وكذلك القول بأنه لم يزل خالقًا رازقًا يقتضى ازليّة المخلوق والمرزوق اللهم إلّا على جهة القدرة على الخلق والرزق فانه يستقيم له ذلك وكذلك لو قال لم يزل سميعًا بصيرًا على معنى سَيُبْصر وسيَسْمَع وأجمع المسلمون أنّ الله حىّ قادر قديم سميع بصير واحد فرد عالم حكيم متكلّم جواد فاعل مختار موجود رحيم عدل متفضّل غنىّ واختلفوا فى تفصيل هذه الصفات وعِلَلها فزعمت طائفة أنه عالم لأنّ له علمًا وزعم آخرون أنه عالم بذاته لأنه يدرك الاشياء كما هى وقد تقدّم حُجج[1] الفريقين مجملًا وكذلك قولهم فى القِدَم والقدرة فمن ابى[2] القول بأنّ حدّ القديم والقادر أن يكون له قِدَم وقُدرة قال حدّ القديم الموجود لا إلى أوّل وحدّ القادر الذى لا يمتنع الفعل عليه باختياره وأجمع هولاء انه موجود [f. 20 r.] بعينه وذاته ولا يُوجد لأنّه لو كان موجودًا بوجود لم يخلُ ذلك الوجود مِنْ أنْ يكون موجودًا او ليس بموجود فإن كان غير موجود فقد

[1] Ms. حجاج.

[2] Ms. الى.

دخل فى بـاب العَدَم وإن كان موجودًا فقد وجب أن يُوجد بوجود آخر إلى ما لا نهايـة والقول بما ليس لـه نهايـة يؤدّى الى قول اهل الـدهر وقـالت طائفـة أنـه حىٌّ بحياة عالمٌ بعلم وزعم آخرون أنّ معنى الحىّ وجود الافعال منه على اتّفاق واتّساق واختلفوا فى ذاتـه أَلها نهايـة أم لا فقال اكـثرهم أنـه غير متناهٍ لانّـه لا بجسم ولا عرض ولا حدّ له فيقتضى النهايـة وهو مبدع النهايـات والحدود وزعم هشام بن حكم انّـه متنـاهٍ وكذلـك يلزم كلّ مجسّم وقـد قـال اصحاب القضآء انّـه غير متنـاهى الـذات واختلفوا أذاتـه مرئيّـة أم غير مرئيّـة فمن قـال بـالتشبيه او راى الـرُؤيـة العلم قـال هو مرئىّ كما هو موجود معلوم ومن ابى ذلـك قـال غير مرئىّ كما هو غير محسوس ولا ملموس بقى الاختلاف فى التوفيق بين الرُؤيـة والعلم واللمس والتفريق بينهما

واختلفوا فى الكلام فمن قـال هو من صفات الـذات قـال غير مُحدَث ولا مخلوق لأنّ الله لم يزل متكلّمًا بكلام لا هو هو ولا هو غيره ولا بعضه ومن قـال من صفات الفعل قـال هو مُحدَث لأنّ الكلام يقتضى متكلّمًا واختلفوا فى الإرادة ١

بحسب اختلافهم في الكلام واختلفوا في المكان فقال اكثرهم انه بكلّ مكان حافظًا مدبّرًا وعالمًا وقادرًا وليست ذاته بجسم فيشغل الاماكن ولا بعرضٍ فيحلّ الاجسام ومن كان بهذه الصفة فغير محتاج الى المكان وقال هشام بن الحكم والمشيّة انه في كلّ مكان ذو مكان وذلك مُطّردٌ على أصله لما يراه جسمًا وقال قوم انه في السمآء فوق العرش بذاته بلا نهاية لاكون الشئ على الشئ بالمماسّة والاظلال وزعم ابن كُلّاب انه على العرش لا في مكان واذا أجازوا أن يخلق الله جسمًا لا في مكان وأن يُقيم العالم لا في مكان فما ينكرون من كونه لا في مكان وليس هو بجسم ولا عرض واختلفوا في العلم فقال قوم عالم بما كان قبل ان كان وبما يكون قبل ان يكون ولا يجوز أن يخفى عليه شئٌ إلّا بأنّه استفاد علمًا او أحدثه لنفسه بل ذاته متنبّهة عالمة وزعم قوم من الإماميّة أنّ الله لا يعلم ما هو كائن حتى يكون قالوا ولو كان يعلم أنّ مَن يخلقه يكفر به ويعصيه ويؤذيه لمَا خلقه وأجازوا فسخ الخبر والبداء واوّل من أبدع هذا الرأى في هذه الأُمّة المختار بن ابي عُبَيْد كان يزعم أنّه يعلم ما يحدث من جهة الوحى فيخبر

أصحابه بكوائن، فإن اتّفقت فهو ما أراد وإن خالف فقد أبدا لربّكم وكان بهم بن صفوان ينفى الصفات كلّها عن اللّه سبحانه ويُنكر القول بأنّه شئ زعم فرارًا من التشبيه ويقول عِلْمُ الله محدث وجملة الردّ على هولآء أنّ الجاهل منقوص ومستحقّ المذمّة لا يستحقّ الإلاهيّة وأجاز المعتزلة كون ما علم الله انه لا يكون لأنّ عِلْم الله ليس بعلّة لكون الشئ ولا حامل للمعلوم على الكون كما أنّه لم يزل عالمًا بخلقه العالم قبل خلقه ثمّ لم يُجز القول بأنّ علمه عِلّة الخلق وحامل له على إيجاده قالوا وممّا علم الله أنّه لا يكون أمور علم أنّها لا يكون لاستحالة كونها [fol. 21 r°] لكون إله معه أو كون شريك أو كون غالب يغلبه أو كون نهاية وانقضآء له ومنها أمورٌ علم أنّها لا تكون لاستحالة كونها فلا يجوز كونها بحال قالوا وغير جائز أن يأمر عبدًا بما يعلم أنّه لا يكون منه ما يأمره به ولا يقدر عليه لاستحالته أو لعجزه وانّما يجوز الأمر لمن علم انه قادر على الفعل لأن القدرة هى التى تقتضى التكليف لا العلم وقال مخالفوهم لا يجوز كون خلاف ما علم الله ويجوز الأمر بخلاف ما علم لانّه لو جاز كون خلاف

ما علم كان عاجزًا جاهلًا وهذه هى مناظرة بين الفريقين مليحة مُفيدة قالوا لهم أليس فى قولكم انّ الله لم يزل عالمًا بأنّ فرعون لا يؤمن قالوا بلى قالوا فكان فرعون يقدر ان يؤمن وقد علم الله أنّه لا يؤمن قالوا نعم قالوا فكان فرعون يقدر على إبطال علم الله وتجهيله قالوا لو علم الله ان فرعون لا يقدر ان يؤمن كما علم انّه لا يؤمن ثمّ قلنا انه آمن أو يؤمن لكنا مُبطلين مجهلين ولكنا قلنا علم الله انه لا يؤمن وعلم انه يقدر ان لا يؤمن ولم يؤمن فلم نكن مُبطلين ولا مجهلين ثم قلبوا عليهم السؤال فقالوا أليس الله عالمًا بانه يقيم القيامة فى وقتها وهو القادر على أن لا يقيمها قالوا بلى قالوا فهل يجوز القول بأن الله قادر على إبطال [علمه] علمه وتجهيل نفسه اذا كان قادرًا على أن لا يفعل ما علم انه يفعله وعلى ان يفعل ما علم انه لا يفعله قالوا وليس علم الله أن فرعون لا يؤمن وأمره بأن يؤمن فهل أمره بتجهيل علم الله فيه واختلفوا فى جواز وصف الله بالقدرة على المحال كإدخال العالم فى جوزة او بيضة فقال الجمهور من اهل العلم لا يجوز ذلك لأنّه يقتضى العلم مقدورًا كما يقتضى العلم معلومًا فكلّ ما هو غير مقدور

عليه محال إجازة القدرة عليه وزعم بعضهم أنه قادر عليه واختلفوا فى وصف الله تعالى بالقدرة على الظلم والجور فأحاله قوم لأنّ ذلك مذموم لا يفعل إلّا عن نقص او حاجة ولو جاز ذلك لم يكن مأمومًا ان يقع ولجاز وصفه بالقدرة على الجهل والعجز وكان ابو هُذيل يقول هو قادر على ذلك ولكن لا يفعله لرحمته وحكمته وليس يفعل الظلم والكذب غير مقدور عليه فيكون محالًا واختلفوا فى قدرة الله تعالى هل هى علم الله ام غيره وكذلك الحيرة فالقدم وسائر صفات الذات وزعمت طائفة انّ علم الله ليس قدرته ولا غيرها لأنّه لو كان العلم والقدرة لكان ما علم فقد قدر عليه وهو يعلم نفسه ولا يصلح القول بأنّه يقدر على نفسه ولو كان علمه غير قدرته لكن يجوز وجود أحدهما مع عدم الآخر ولو جاز هذا لجاز أن يكون البارئ فى حالٍ عالمًا غير قادرٍ أو قادرًا غير عالم وزعم داود بن على أنّ علمه غير قدرته وامّا المعتزلة فليس من قولهم أن له علمًا وقدرةً حتّى يلزمهم التفصيل بينهما واختلفوا فى التعديل والتجويز من خلقه أفعال العباد وماهم يكتسبوه من المعاصى والمآثم وقضائه إيّاها عليهم وإرادته منهم وعقوبته لهم

عليها بعدَ أن أوجدها منهم فقال قوم كلّ ذلك منه وفعله وهو عدل وحكمة لأنّ الخلق خلقه والأمر أمره لا يكون منه ظلم ولا جور ولو جاز حدوث حادث بغير مُراده او مشيّته وإيجاده لكان عاجزًا مغلوبًا وقال آخرون لو كان كما يزعمون لما كان الخلق ملومين ولا معاقَبين ولا من يفعل بهم هذا حكيمًا ولا عالمًا [٢١ ظ] ولا رحيمًا وهذا من باب الخيْر والقدر والاختلاف فيه قائم مذ وُجِد فى العالم حيّان ناطقان ولا يجوز غير ذلك لتكافئ الدلالة وأعدل الأُمور أوساطُها فقد قيل الناظر فى القَدَر كالناظر فى عين الشمس لا يزداد على طول النظر ألّا حيرةً ودهشًا ومَن طاوعَتْه نفسُه بالإمساك عن الخوض فيه والاقتصار على ما فى الكتاب رجوت ان يكون من الفائزين